

هابرماس وأخلاقيات التواصل "في ظل السيطرة التكنوعلمية"

* الباحثة: بلقاسم خيرة

المشرفة: د. حاج عبد الرحمان نعيمة

الإرسال:	2018/06/11	القبول:	2018/10/21	النشر:	2018/12/22
----------	------------	---------	------------	--------	------------

الملخص باللغة العربية:

إن حجر الأساس الذي يضعه هابرماس في بناء نظريته في الفعل التواصلي هو التأكيد على فاعلية اللغة باعتبارها الوسط الأساسي للتواصل بين الذات ، إذ يجعل النموذج الأمثل لفك الأزمت هو النموذج التواصلي البينيذاتي الذي يلخص في المعادلة التالية أنا/ أنت مكان النموذج الاداتي السائد في زمن الحداثة والذي ينتقده بشدة إذ بمنظوره شيء الإنسان وطمس إنسانيته وان الأفضل الانتقال إلى نموذج لغوي تواصلي يخلق إجماعا مشتركا ، وان التواصل الهابرماسي لا ينفصل عن نظرية المناقشة القائمة على التبرير كما انه نوع من التبادل اللغوي الذي يحتكم إلى ضوابط ومعايير أخلاقية من شأنها أن تضبط المناقشات وتوجهها توجيها سليما يحرر الإنسان من الانغلاق ويفتح له قنوات وجسر التفاعل الأخلاقي بين الانا والآخر ومن هذه المعايير المعقولة ، الحقيقة ، المصادقية ، الصدق التي تشكل الحصن المنيع للعملية التواصلية .

كلمات مفتاحية: هابرماس ، النشاط التواصلي ، النزعة التكنوعلمية . أخلاقيات المناقشة .

* - طالبة دكتوراه، تخصص: فلسفة غربية معاصرة، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر 2
"أبو قاسم سعد الله"، المشرف: د. حاج عبد الرحمان نعيمة "جامعة الجزائر"، البريد الالكتروني
[sihamkasem1@gmail.com]

ملخص باللغة الإنجليزية:

Abstract: Habermas' cornerstone in constructing his theory of communicative action is to emphasize the effectiveness of language as the basic medium of communication between the two. It makes the ideal model for deconstructing the crises the interstitial communication model, which summarizes in the following equation: He strongly criticizes him for his view of the human being and the blurring of his humanity. It is better to move on to a linguistic and communicative model that creates a common consensus, and that the Habermasian communication does not separate from the theory of discussion based on justification. It is also a kind of linguistic exchange that controls ethical rules and standards. That will control the discussions and guide them properly to free the person from closure and open channels and bridge the moral interaction between us and the other and such reasonable standards, truth, credibility, honesty, which forms the bastion of the process of communication.

Keywords: Habermas ، communication activity ، technological orientatio ، ethics of discussion.

مقدمة:

ألم نتساءل يوما عن أسباب تأزم الأخلاق في الفكر المعاصر أي أزمة فكرية أم أزمة تقنية تكنولوجية ؟ وألم نتساءل يوما عن اغتراب الإنسان عن ذاته وعن الآخر؟ وفي مقابل هذه التساؤلات ألم نطمح يوما إلى تحقيق إنسانية الإنسان بآتم معاني التحقق والانوجاد؟ .

إنّ ما يعرفه العالم اليوم من اضطراب وقلق حضاري يعود بالأساس إلى ظهور النزعة الوضعية والتطور المذهل للعلم وكذا التسارع المتزايد في التقنية ، الأمر الذي جعل الإنسان يؤمن بما هو عيني وملموس، ما جعل العلم يحتل الصدارة وضافت في المقابل رقعة الأخلاق ضيقا وانقبض أفقها انقباضا ، إذ سادت فلسفات وضعية

تعلي من شأن العقل والعلم التجريبي وتحط من شأن الأخلاق باسم الحداثة والنتيجة تأليه المادة وتهميش إنسانية الإنسان .

كان هذا منظور أحد رواد الجيل الثاني لمدرسة فرانكفورت "يورغن هابرماس"¹ الذي تربع على عرش كبار الفلاسفة في العالم المعاصر وفق نظريته التي تسمح بمراقبة السلطة الإيديولوجية التي يتم بواسطتها التسيير الأخلاقي للمجتمع ، إذ المتمعن في الخطاب الهابرماسي يلوح به تأمله في ترسانة نقدية للأوضاع السائدة من أخلاق ، تقنية... مسائل هذه وتلك مسائل نقد واستنطاق مؤكدا على ضرورة التجاوز وبإمكانية تشييد نظام عالمي أخلاقي عقلاني عماده الحوار الكوني المنفتح على الآخر.

على هذا حق لنا أن ننسج خيوط الأشكلة عنا ضرورة منا وليس اختيار ومن باب تقصي الأفكار عن هذا الموضوع لدرك كنهه من خلال طرح التساؤلات التالية :

ما منظور هابرماس إلى أزمة الأخلاق المعاصرة ؟ وماهو البراد يغم الذي ابتدعه لفك الأزمة والذي يفتح الآفاق لفكر أخلاقي يمكن بموجبه إعادة بعث الروح في الإنسان وهدم طابوهات المادة ورد الاعتبار للعقل العملي؟ ماهي المعايير الأخلاقية التي تحكم العملية التواصلية بين الذوات ؟ وهل استطاع هابرماس من خلال نظريته حول أخلاقيات المناقشة أن يحقق إمكانية التفكير في العالمية على أسس غير ميتافيزيقية ؟ وهل نحن قادرون فعلا على بناء مجتمع ديمقراطي قائم على الإجماع الأخلاقي لا على العنف والصراع ؟

إذا افترضنا بدءا مع هابرماس أن الحوار المتأسس على معايير أخلاقية يقضي على السيطرة التكنوقراطية التي تقيد الفرد ويحقق الإجماع الأخلاقي ، ألا يوجد في الإجماع أو يعد الإجماع ذاته تقييد و كبح لحرية وطموحات الأفراد، فالذي يناشد ويرافع الإجماع فهو لا يترك المجال أمام مفتوحا بصورة حيوية أمام حرية متابعة الحوار السجالي إلى مالا نهاية دون التقيد بحد فاصل يجب التوقف دونه ، وهو الأمر الذي

¹ - يورغن هابرماس : فيلسوف نقدي من رواد الجيل الثاني لمدرسة فرانكفورت ، من أهم علماء الاجتماع والسياسة ، ولد في 18 جويلية 1929 بمدينة دوسلدورف بالمانيا اشتغل على نقد الفكر الوضعي وبناء نظرية اجتماعية قائمة على الحوار ثم على أخلاقيات المناقشة . من أهم مؤلفاته : التحول البنوي للمجال 1962 ، النظرية والممارسة 1963، المعرفة والاهتمامات الانسانية 1971 وأضحى إنتاج نظرية الفعل التواصل 1981، (يورغن هابرماس ، المعرفة والمصلحة ، ترجمة : حسن صقر ، مراجعة ، ابراهيم الحيدري ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ط1، 2002، ص:151).

جعل فرانسوا ليوتار لا يستبعد أن يتحول إجماع هابرماس إلى أداة بيروقراطية تقمع الفرد في ذاته عوض تحريره من سلطان التقنية .

وتبقى للموضوع أهميته والتي تكمن في تأكيده على عدم التماهي في منجزات العلم ذلك أن الغرق في التكنولوجيا قد يهمل إنسانية الإنسان وتجعله يغترب عن ذاته ، كما أنه يؤكد على ضرورة تكريس مبدأ الحوار والاعتراف بالآخر وبشكل كوني وفق أطر أخلاقية ، وكذا التأكيد على مبدأ فاعلية اللغة في التواصل باعتبارها الوسط الأساسي في التواصل بين الذوات وعنصرتشكيل الذات ضمن واقع الوجود مع الآخر . وإننا سنصوّل ونجول في هذا الموضوع باحثين طبعاً عن خباياه محاولين الاجابة عن التساؤلات السابقة متبعين **المنهج التحليلي** لأننا بصدد تحليل أفكار وآراء يورغن هابرماس حول مسألة النزعة التكنولوجية وأخلاقيات التواصل كفلسفة عقلانية .

ولقد كانت لهذا الموضوع دراسات سابقة نذكر من بينها : عمر مهيبل ، اتيقا المناقشة ومسألة الحقيقة ، تر: عمر مهيبل ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط1 ، 2010 .

محمد نور الدين افاية ، الحداثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة ، نموذج هابرماس ، دار إفريقيا الشرق ، ط2 ، المغرب ، 1998 .

كذلك رسالة ماجستير تقترب من الموضوع بشدة لأودينة سليم ، فلسفة التداوليات الشكلية وأخلاقيات النقاش ، عند يورغن هابرماس ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الفلسفة ، اشراف ، لخطر مذبح ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ، قسم الفلسفة ، جامعة منتوري ، قسنطينة ، 2008-2009 .

بداية وقبل الولوج في هذه الورقة البحثية لتحليل فكري يورغن هابرماس لابد لتنويه القارئ بان هابرماس يتناول قضية التواصل أو المناقشة من منظور سوسيولوجي بوصفها فعلا اجتماعيا لاعلاقة له بالوعي الإنساني¹ بمعنى أن هابرماس يخرج التواصل والمناقشة من سياق البعد الفلسفي وهذا ان ذل فانه يدل على أن هابرماس ينتصر للنظرية الاجتماعية التي يكون أساسها الإجماع المشترك الذي لا يحقق إلا بالحوار والذي بمنظوره اختفى في زمن الحداثة واختفى معه كل ماهو اتيقا .

¹ - مالفردي فرانك ، حدود التواصل ، تر: عز العرب بناني ، الدار البيضاء ، 2002 ، ص ، 15 .

إنّ هابرماس يقرّ أن أزمة الأخلاق المعاصرة سببها التطور التقني الذي يعطي الأولوية للعلم والمعلومات الرقمية حتى صار يعوض الحوار البيّناتّي بين البشر بحوار الآلات المبرمجة مع الإنسان الذي لا يقتصر إلا على الإجابة بنعم أو لا "الرأسمالية المتقدمة أنموذجاً" وهذا ما يؤدي إلى خلق مجتمع إنساني ألي⁽¹⁾ وبالتالي تهيمش إنسانية الإنسان ،

وينتقد هابرماس الفلسفة الوضعية متهما إياها بأنها تعمل على إعطاء المشروعية لسيطرة التقنية والمصالح القائمة ذلك أن الإنسان أصبح يعيش تحت رحمة التقنية في ظل المجتمعات الرأسمالية التي أصبحت تستمد شرعيّتها من هذه التقنية* وذلك أن الدولة التكنوقراطية تسعى إلى جعلها والعلم وسيلة للسيطرة على الطبيعة والإنسان⁽¹⁾ وكذا استخدامه لأغراض إيديولوجية تخلق الفجوة بين الإنسان وذاته وانه وبمنظور هابرماس بقدر ما يتدخل العلم في مؤسسات المجتمع بقدر ما يفقدها طابعها كمؤسسات اجتماعية ليصبح الإنتاج هو الغاية القصوى وبالتالي يصبح العقل العلمي هو العقل المدبّر والمسير للمجتمع وفي الوقت نفسه غير قادر على استيعاب هموم ومشاكل المجتمع وعليه فإن الوضعية عاجزة عن تحقيق الفهم الصحيح للحياة الاجتماعية لكونها لاتضع الحقائق الجزئية داخل نظامها الكلي الأمر الذي كبّل الإنسان وجعله مسلوب الإرادة⁽⁴⁾ ومن هنا فإن الكل غير صحيح وهو ما يجعل الوضعية منهجا غير صحيح بفهم الحياة فهما حقيقيا ما يجعل العقل يمتثل إلى الواقع ويقبل بما هو كائن أي يتكيف مع الأوضاع السائدة ، بل الأكثر من هذا فإن

¹ - wriol (paul) : cybermonce la politique d'opire, fayard, paris, 1996, P45.

* - الفلسفة الوضعية : (positivisme) هي مذهب اوغست كونت الذي يقران المعرفة الصحيحة هي المعرفة التي تستند الى الواقع والتجربة ، باعتبار العلوم التجريبية وحدها معيار الصدق واليقين ، من منطلق ان الفكر البشري لا يستطيع ان يكشف عن طبا ئع الاشياء واسبابها ، بل فقط يدرك ظواهرها وعلاقاتها وقوانينها (انظر: جلال الدين سعيد ، معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية ، دار الجنوب للنشر تونس ، (دط) ، ص: 487 .)
* - (technique) :هي مجموعة طرق محددة بدقة وقابلة للتوصيل ، مخصصة لاحداث بعض النتائج المعتمدة النافعة . (انظر: اندريه لالاند ، موسوعة الفلسفة ، تر: خليل احمد خليل ، منشورات عويدات ، بيروت ، (ط2) ، 2001 ، ص: 1427).

¹ - بورغن هابرماس، العلم والتقنية كإيديولوجيا، تر: حسن صقر، منشورات الجمل، 2003، ط1، ص: 29-30.

⁴ - بوتومور ، مدرسة فرانكفورت، تر: سعاد هجرس، دار أويا ليبيا، ط1، 1998، ص: 62، 69.

الوضعية تقف أمام كل تغيير جذري للنظام السائد، الأمر الذي جعل هابرماس يركز على الأساس الإيديولوجي للزعة الوضعية التي تظهر كعقلانية مهيمنة. موجها لإرادة الإنسان والنتيجة المترتبة على ذلك أن النظام العلمي يصبح جزءا من الطبيعة نفسها ، وتنحصر أهمية ودور العقل في التكيف مع البيئة.¹ وبالتالي فالوضعية والزعة التكنولوجية تمثل إيديولوجيا خطيرة على العقل والعلم²، إيديولوجيا تبعد الإنسان عن المجال الأخلاقي والقيمي وتجعله لا يصغي إلى نداء الكينونة ما يؤدي إلى تكميم الوجود وتحويله إلى علاقات رياضية حسابية واغتراب الإنسان عن كنهه ، وبهذا فهابرماس يقر وبشكل جد صريح بموقفه النقدي اتجاه الزعة التكنولوجية السياسية إذ اعتبر عقلانيته عقلانية سيطرة ، فما التقدم التقني إلا عبارة عن قوة دافعة إلى سيطرة أقوى وأوسع ما يؤدي إلى خلق أشكال من الحياة تصبغ بصبغة تذليل سبل العيش للفرد وتحقيق الرفاهية، كما تفسح المجال لمنجزات العلم التي تجعل الإنسان يقف موقف انهيار الأمر الذي يجعله يثق وثوقا أعى بالتقنية كوسيلة تساهم في تحريره من سلطان وعبودية الطبيعة إلا أنها للأسف في ماهيتها وحقيقتها هي الأشد خطورة على الإنسان من الطبيعة فهي أشبه بالسحر الذي يصدر عن مرايا خارجية مطبوع بطابع العنف وهكذا حسب هابرماس أصبحت الحداثة تستخدم العلم كأداة لتحقيق أغراض إيديولوجية سياسية ما خلق كوارث إنسانية تعود بالأساس إلى إقصاء الجانب الأخلاقي من الحياة الاجتماعية وأكثر ما يدل على هذا مسألة الاستنساخ التي اعتبرها مسألة لاخلاقية بل وخطيرة على الشخص المستنسخ ذاته ذلك أن الطفل الذي يتم تشكيله جينيا قبل مولده حسب رغبة الأهل، سوف يشعر عندما يصبح مرافقا بأنه سجين رغبات أمه، وبالتالي فهو غير حر وغير مسؤول عن كل ما يصدر عنه طالما أنه تم إعداده مسبقا لهذا كان الأفضل حسب هابرماس الاقتصار على إجراء تغييرات جينية طبية حتى لانخاطر بإجراء تغييرات فكرية عقلية تأتي بنتائج عكسية وبالتالي فالتحكم في الجينات وتوجيهها حسب هابرماس يمس بالدرجة الأولى الهوية وأصالة الإنسان³ ومن

¹ - HABERMAS , connaissance et intérêts, trad par : Glemncom et J.M Bor km, ed Gallimard , paris, 1976, P : 204.

² - هابرماس، العلم والتقنية كإيديولوجيا، المرجع السابق، ص: 47.

³ - يورغن هابرماس ، مستقبل الطبيعة الانسانية نحو نسالة ليبيرالية ، تر: جورج كتورة ، المكتبة الشرقية ، بيروت ، لبنان ، ط 2006، 1، ص، 40.

هنا فان الأخلاق تقتضي احترام حرية الفرد في بناء شخصيته ، وانه حسب هابرماس لابد من رقابة أخلاقية على منجزات العلم وهذا مايتجلى في قوله " إن مايبضعه العلم تقنيا بتصرفنا ، يجب أن يكون خاضعا لرقابة أخلاقية ، تجعلنا بالمقابل ولأسباب معيارية ، غير قادرين على التصرف بها على هوانا "¹ ونفهم من هذا القول أن المخرج من الأزمة اللاشعرية التي تفرضها الوضعية التكنوعلمية هو الوازع والرقابة الأخلاقية. كما تظهر معالم فلسفة هابرماس الأخلاقية في الخطاب الذي ألقاه مباشرة عقب أحداث 11 سبتمبر 2001 الى ضرورة التسامح بين المقاربتين العلمانية والدينية مؤكدا أن حقوق الإنسان والديمقراطية ما هي إلا الإرث المباشر لأخلاق العدالة اليهودية وأخلاق المحبة المسيحية⁽²⁾. فهابرماس ينبذ كل أنواع العنف والتسلط والقهر مؤكدا أن العنف هو أحد المعيقات الأساسية التي تؤدي إلى انحلال المجتمعات الإنسانية عوض تكتلها ، ولهذا فقد أبدى موقفا صريحا من الإرهاب مؤكدا أنه يحمل في طياته السمات الفوضوية لتمرد عاجز إذ الإرهاب لايمكن تبريره من الناحية الأخلاقية مهما كانت دوافعه ، فلا يمكن التسامح مع شخص اتخذ من حياة الناس وسيلة لتحقيق أهداف معينة⁽³⁾.

ويرجع هابرماس أسباب العنف الى سياسة التفقير والتمييز وانعدام الحوار وهذا ماساد بمنظوره في فلسفات الحداثة وعليه فان العنف يبدأ من حيث يضطرب التواصل وينقطع ومن هذا المنطلق ينقد هابرماس العقل الحداثي بل الخطاب الفلسفي الحداثي ككل المرتبط بنموذج فلسفة الذات معتبرا إياه غير قادر على مواكبة مايشهده العصر وانه أعاد تشفير شفرة الاغتراب والتشيؤ بدل فكها، كما ألغى الجانب الأخلاقي من حياة الإنسان وركز على الجانب المادي أين أصبح الإنسان مادة بلا روح .

¹ - المصدر نفسه ، ص، ص: 33-34.

² - ريتشارد وولن، الإنعطاف الدينية عند الفيلسوف يورغن هابرماس، تر: خالدة، جريدة ايلاف الالكترونية

WWW.ELAPH.COM

³ - Habermas, terrorisme, pouvoir et communication , entrier par Diarony bara dory, le monde , Février 2004.

فهابرماس ينتقد الحداثة* مفهومها وبفلاسفتها ، إذ يرجع بداياتها التاريخية إلى عصر النهضة الأوروبية وأنها ظهرت بداية من ظهور "لفظ حديث" الذي استعمل لأول مرة في نهاية القرن الخامس ميلادي ، ذلك أن مفهوم الحداثة عند هابرماس "يعبر عن وعي عصر ما يحدد نفسه بعلاقاته بماضي العصور القديمة ويفهم ذاته كنتيجة انتقال من القديم إلى الحديث"¹ ، وأكد على أن الدور المنوط بالفلسفة هو النقد من خلال نقد الأوضاع السائدة من تقاليد وعقائد وفن ...، وحتى نقد الفلسفة لذاتها من منطلق أن الهدف الدائم للنقد الفلسفي الأصيل هو أن لا يتوه الإنسان في واقع مزيف ، أو يستسلم لحقيقة كاذبة ، انه يهدف إلى إيقاظ الوعي وإنها بالمختصر وبمنظوره "تستند إلى أساس قيمي في اتجاهها إلى النقد والإبداع"².

فهابرماس يعيب على فلاسفة الحداثة وعلى فلسفاتهم بالتفوق واللاحوار، رغم أن معظمهم كان يمثل منطلق هابرماس في التواصل ، فنظريته في التواصل كان لها جذور وخلفيات وان عدلها أو غيرها إلا أنها تشكل منبعه الذي أشاد به في فتح أفاق البينينداتية والتفاعل الأخلاقي، ويتعلق الأمر بكل من هيجل، هيربرت ميد، دوركايم الذين وان انتقدهم إلا أنهم ساهموا جميعا في انتقال الدرس اللغوي إلى أفاق البعد التواصلية البينينداتية بعد أن كان حبيس القوالب الصارمة⁽³⁾.

فبالنسبة إلى هيجل* فانه يؤسس العلاقة بين الذات والغير انطلاقا من الجدل القائم على ثنائية العبد والسيد، فكل وعي في نظره يدخل في علاقة معينة مع

*

- الحداثة لغة : مشتقة من الفعل حدث والحديث نقيض القديم ، والحدث نقيض القدمة ، حدث الشيء حدوثا وحداثة (أنظر: ابن منظور ، لسان العرب ، دار المعارف ، القاهرة ، المجلد 2 ، ص: 796).

¹ - يورغن هابرماس ، مشروع ناقص ، تر : بسام بركة ، مجلة الفكر العربي ، مجلة العلوم الانسانية والحضارية، مركز الانماء القومي ن لبنان ، 1996 ، العدد ، 39 ، ص: 42

² - حسن حنفي ، متى تموت الفلسفة ومتى تحيا ، مجلة عالم المعرفة ، المجلد الخامس عشر ، العدد 3 ، ديسمبر ، 1984 ، ص: 236 .

³ - جان مارك فيري، فلسفة التواصل، ترجمة وتقديم : عمر مهيبل ، منشورات الاختلاف ، المركز الثقافي العربي ، ط1 ، لبنان ، 2006 ص14.

*- فريدريك وليام هيجل : (GEORG WILHELM FRIEDRICH : 1770 ، 1831) : فيلسوف ألماني ، نشأ في أسرة ترجع إلى أصول نمساوية ، مشروعه الرئيسي يأخذ بفكرة التناقضات ، من أهم أعماله فينومينولوجيا الروح ، أصول فلسفة الحق (انظر: عبد الرحمان بدوي ، الموسوعة الفلسفية ، ج1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1984 ، ص ص 570 – 571).

وعى أخري بحث من خلالها عن الاعتراف بسيادة وعيه ، وبالتالي فان فضل هيجل على هابرماس يتمثل في فهم الوساطة كشرط أساسي للوعي بالذات ، كما أن هابرماس في حد ذاته وبلسانه يقر تأثره بالفكر الهيجلي وانه استلهم المنهج الديالكتيكي لتطوير نظريته الاجتماعية وهذا مايتجلى في قوله " ليس سرا انه ولتطوير نظريتي الاجتماعية فقد أخذت في كتاب " نظرية الفعل التواصلي " أسلوبا مستلهما من النموذج الهيجلي ، لذا فأنا لا ادري بالمرّة ماهي المؤاخذة التي يمكن أن توجه لي في هذا المجال ¹ ، فهابرماس يرى في الفكر الهيجلي الفكر الذي يعبر عن الحداثة الواعية بكل تجلياتها اذ نستحضر قوله كذاك في هذا الصدد من كتابه القول الفلسفي للحداثة كالتالي " ومن هذا المنظور ومهما كان الاختلاف ... لقد كان هيجل هو الفيلسوف الأول الذي نما بكل وضوح مفهوما للحداثة ، ولهذا لا بد لنا من الرجوع إليه لفهم دلالة الصلة الداخلية بين الحداثة والعقلانية ² مايعني لنا أن هابرماس وجد في هيجل النموذج الأمثل من خلال ربطه الحداثة بالعقلانية من منطلق أن هيجل لم يهمل الواقع المعاش من خلال مقولته الشهيرة " كل ماهو عقلي واقعي ..."³ لكنه مع ذلك ورغم تأثره به أو نقول تصريحه بتأثره به إلا انه ينتقده إذ بالمنظور الهابرماسي هيجل بقي حبيس فلسفة الوعي التي لم يستطع ترجمتها إلى فلسفة تواصل ، وان كان الفضل يعود إليه في زرع البذور الأولى لتجربة التفاعل التواصلي⁽⁴⁾.

كما كان هابرماس شديد التأثر بجورج هيربرت ميد* في سوسيولوجيته التي تتجلى في التفاعلية الرمزية إذ اخذ هابرماس من ميد فكرة دور الأنا في صنع وتكوين

¹ - مقدمة عمر مهيبل لكتاب هابرماس ، اتيقا المناقشة ومسألة الحقيقة ، تر: عمر مهيبل ، منشورات الاختلاف، الجزائر ، ط1 ، 2010 ، ص: 5.

² - يورغن هابرماس ، القول الفلسفي للحداثة ، تر ، فاطمة الجيوشي ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ، سوريا ، 1995 ، ص: 12.

³ - عمر مهيبل ، اتيقا المناقشة ومسألة الحقيقة ، المرجع السابق ، ، ص: 39.

⁴ - Habermas la réseau la critique, dirigée : ch bouchindhomme, paris, 1996, P : 46.

* - جورج هيربرت ميد : MEAD 1863, 1933 فيلسوف وعالم اجتماع أمريكي ، علم نفس ومؤسس للاتجاه التفاعلي الرمزي في علم الاجتماع ، تأثر بأفكار ديوي ووليام جيمس (ينظر علي عبود المحمداوي ، الاشكالية السياسية من فلسفة الذات الى فلسفة التواصل هابرماس انموذجا ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط1 ، 2011 ، 51).

الأخر من منطلق أن ميد يعتبر الذات تنشأ وتتطور من خلال عملية التفاعل الاجتماعي، فالإنسان يرتبط بعلاقة تفاعلية مع الآخرين هابرماس ليجد في ذلك معنى التداولية الكونية التي تقوم وتأسس على معيار فكرة الآخر، إلا أنه من جهة أخرى يعيب عليه اهتمامه بالرموز اللسانية فقط من أجل أن تتوسط التفاعل، كما يهمل عمليات التفاهم البينينداتي والبنية الداخلية للكلام⁽¹⁾ وهو ما عمل هابرماس على تطويره في نظريته التواصلية.

أما دوركايم* فيعيب عليه هابرماس بأنه غرق في بحر الوظيفة والنسقية، كما أنه اهتم بدراسة المجتمع ككل وأهمل دراسة الجماعات الفردية، وهي الأجزاء التي يتكون منها الكل، كما أنه تجاهل الفرد ومطالبه، وحاجاته إلى التحرر من سلطان المجتمع.

كل هذه الإسهامات شكلت منطلقات فكرية لهابرماس في نظريته التواصلية التي أخرجها إلى حيز الوجود بطابع جديد متأسس على نقد الفكر الحدائي ككل مصرحا بعدم جدواه ما يعني أنه قد آن الأوان لتغييره بنموذج آخر بمنظوره وهذا ما يوضحه قوله "إن الذي أنهك هو نموذج فلسفة الوعي(.....) ما يعني ضرورة الانتقال إلى نموذج البينينداتية حتى تختفي أعراض الإنهاك أو التعب"² وكأن هابرماس هنا يقول حان الوقت لينزاح الوجه التقليدي المنهك للذات ويترك مكانه لذات تفاعلية تنتمي إلى مجتمع الممارسة اللغوية، ذات مستقلة قادرة على المشاركة في العملية التواصلية علما بأن هذا الاستقلال الذاتي ليس له أي معنى إلا من خلال الاعتراف بالآخر والتواصل معه، لذلك فالذات ملازمة للعلاقة مع الآخر من خلال الاندماجات الموجهة بواسطة اللغة وبهذا فهابرماس يقترح أو يضع تعريف جديد للذات التي لم تعد كينونة مجردة منفصلة عن الآخر، ما يعني أن هابرماس ينقد فكرة الذات السائدة في الفكر الحدائي ويستعيض عنها بفكرة التداوت القائمة على المعادلة المتمثلة في تفاعل أنا/انت والتي

¹ - كمال عويصي، دراسة في النظريات التربوية المعاصرة، معهد العلوم الانسانية، المركز الجامعي غرداية، الجزائر، 2009، ص: 5.

* - اميل دوركايم EMILE DURKHEIM، 1885، 1917: سوسيولوجي فرنسي من أبرز مؤسسي علم الاجتماع المعاصر، يكمن إسهامه الأساسي في علم الاجتماع إلى أنه ينتسب إلى الوضعية، من أهم مؤلفاته: محاولة في السوسيولوجيا العامة (أنظر في هذا الصدد: ستيفان هابر، هابرماس وسوسيولوجيا، ط1، (دت)، ص: 97).

² - يورغن هابرماس، القول الفلسفي للحدائنة، المرجع السابق، ص، 351.

تثمر بواسطة الحوار والنقاش العقلاني إلى تأسيس حقائق متفق عليها بحيث أن هذه المعادلة التفاعلية تنتج عن أسلوب التفاهم الذي يحدث عندما تصدر الأنا فعل الكلام ويقوم الآخر بإصدار موقف إزاء هذا الفعل هنا بالذات يحدث التداوت بين الأنا والآخر أي التواصل والتداخل بينهما وتنشئة علاقة تداوتية⁽¹⁾، إلا أنه وفي نفس الوقت نجد أن هابرماس ينقد العقل الحدائي لا لأجل هدمه بل من أجل إعادة بناءه من جديد وهذا ما يتجلى في قوله التالي "أريد أن أوضح أنه من الممكن تطوير نظرية الحدائ باستخدام نظرية تواصلية تملك الدقة التحليلية التي تحتاجها الظاهرة الاجتماعية المرضية التي يسميها الماركسيون بالـ"تشوي"⁽²⁾. إذ أقر هو نفسه "هابرماس" أن العقل الذي استخدم كأداة لأغراض إيديولوجية غير أخلاقية هو وحده الكفيل بتصحيح أخطائه وتطهير نفسه من المظاهر اللاعقلانية وأن هذا القول جعلني استحضر مقولة هيجل "أن اليد التي تسبب الجرح هي بدورها التي تداويه لهذا وجب لم شمل هذا العقل وتطويره إلى عقل آخر عوض تحطيمه وهكذا فهابرماس جدد الثقة في العقل الحدائي من جديد فبعدما كان ينتقده أصبح يريد بناءه وهذا ما بينه في محاضراته التي قدمها في سبتمبر عام 1980 بمناسبة حصوله على شهادة ادورنو⁽³⁾؛ إذن السؤال هنا: إذا كان هابرماس قد رفض النقد الهدام للعقل ونادى بضرورة بناءه من جديد فما هي الصورة الجديدة التي أعطاها للعقل ما مميزاته وما أبعاده؟

إن هابرماس يسعى إلى إخراج العقل من غياهب العقلانية الأدائية إلى أنوار العقلانية التواصلية وهذا لا يكون إلا عن طريق تأطير العقل بمقاييس العقلنة التي ترتكز على الحجة* والبرهان الأقوى والاعتراف المتبادل بين المشاركين في النشاط

¹ - محمد نور الدين أفاية، الحدائ والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة، نموذج هابرماس، دار إفريقيا الشرق، ط2، المغرب، 1998، ص: 210.

² - Habermas, Autonomy and solidarity, interviews, with habermas, ed by : peter dewes, verso the print of new left books, P : 108.

³ - Habermas, la modernité, un progrès inachevé, trad par : G : Roulet, revue critique, 1991, P : 950, 967.

* - الحجة : هي الاستدلال على صدق القضية أو كذبها ، وهي مرادفة للدليل . (انظر في هذا ، جميل صليبا، معجم الفلسفة، ج1 دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، بيروت لبنان ، ص: 445).

التواصلي، فالعقلانية هي ذلك الاستعداد الذي تبرهن عليه ذوات قادرة على الكلام وعلى العمل وعلى اكتساب وتطبيق معرفة قابلة للخطأ.

فنظرية النشاط التواصلي عند هابرماس في إطار الحداثة تقيم علاقة داخلية بين الممارسة وفعل العقلنة فهي تدرس المضمرات العقلانية التي تفترضها الممارسة التواصلية اليومية وتساعد المضمون المعياري الملازم للنشاط الموجه نحو التفاهم بين الذوات للوصول الى مفهوم العقلانية التواصلية، لذلك يقترح هابرماس ضرورة إعادة استثمار وإحياء مشروع الحداثة في ظل نموذج جديد نموذج الفهم المتبادل الممكن بواسطة فلسفة اللغة⁽¹⁾، نموذج لا يهدف إلى تعويض خسارة العقل الحديث وفقط بل يدعو إلى تحويل وتغيير التصورات الكلاسيكية تحويلا جذريا، نموذج يفتح آفاق التواصل مع الآخر، عقل ينبذ كل أنواع الفردانية والتسلط الذي خلفه العقل الأداتي بطابعه الحسابي، لصالح التفاعل والتفاهم الاجتماعي، لهذا لا يجب الاكتراث حسب هابرماس بإدانة العقل الحدائي وتحطيمه، بل يجب إعلان ميلاد نموذج جديد قادر على تجاوز العقل المتمركز على الذات لصالح "عقل تواصلي يتجاوز الذات الضيقة ليكون نسيجا من الذوات المتواصلة التي تتجاوز ذاتيتها"⁽²⁾، أين يظهر هذا النموذج كمبدأ للأمل الاجتماعي بإعادة التفكير في المجال العمومي وبناء نظرية معيارية لواقع قانوني سياسي وكذلك كمبدأ أمل أخلاقي يفتح المجال أمام الجميع للتعبير عن آرائهم بحرية في فضاء عمومي تداولي وفق قواعد ومعايير أخلاقية أساسها احترام الإنسان لأخيه الإنسان وغير مشروط بأية مقاييس أو ارغامات مفروضة .

إن هذا النموذج هو النموذج والعقل التواصلي (البينيداتي) . فالإي مدى يمكن اعتبار هذا التصور أو المنهاج التواصلي ضمانا كفيلا بان تكتب الذات ذاتها داخل رحم الأزمات المعاصرة بقلم الحوار وحبر الأخلاق؟

إن حجر الأساس الذي وضعه هابرماس لبناء نظريته في التواصل هو التأكيد على فاعلية اللغة فهي أساس الفعل التواصلي اذ لا بد من الالتزام بها في الحوار باعتبارها كل متكامل من الرموز "لا بد من الالتزام المشترك للرموز ذاتها بالنسبة إلى

¹ - يورغن هابرماس، القول الفلسفي للحداثة، المصدر السابق ، ص: 530-531.

² - المصدر نفسه، ص: 452.

مجموعة من الذوات التي تتواصل مع بعضها البعض في اللغة ذاتها¹ فاللغة نتاج جماعي تمكن الفرد من الاتصال والاحتكاك بغيره وهي التي تحدد وتعين الفرد كشخص عيني في المجتمع الذي ينتمي إليه وهذا مايتأكد في قول هابرماس "إن الكائن الطبيعي لايمكن أن يصبح عينيا وشخصا مفكرا عاقلا إلا إذا خرج إلى الوسط العام لمجتمع لغوي"² فالإنسان يتشكل من حيث هو ذات باللغة فهي التي تؤسس مفهوم الأنا ضمن واقعها وهو واقع الوجود إذن اللغة هي عنصر تشكيل الذات وهي عبارة عن حوار بين عقول المتحدثين ترمي إلى خلق التفاهم إذ تشكل بنية تساعد على التعبير الفردي من خلال المقولات العامة داخل علاقة حوارية تقوم بوظيفة التنظيم المنهجي للتجربة التواصلية لإحداث فهم ووعي بالذات وفي نفس الوقت ووعي بالآخر وبالتالي فاللغة ليست نسق مغلق على ذاته بقدر ماهي فاعلية للتواصل والحوار المتبادل وعليه يصبح التواصل هو الفعل الذي يخرج الوعي الذاتي من باطنه نحو الانفتاح على الآخر وفهمه والتحاور معه بواسطة اللغة، فالتواصل عند هابرماس هو تواصل بين ذاتين قادرتين على الحوار شريطة سلامة اللغة والقدرة والكفاءة وكذا الفهم إذ لا تواصل دون فهم متبادل أثناء العملية الحوارية .

وان التواصل يقوم على أربعة ركائز أساسية هي:

المرسل (Emetteur) وهو الذي يصدر منه فعل الكلام .

المستقبل: (Recepteur) : وهو المستمع الذي يتلقى الكلام .

الرسالة: (Message) وهي تمثل محتوى الكلام ومضمونه .

القناة: (Canal) : وهي الوسيلة التي تنقل الكلام : اللغة

ومن بين هذه الركائز أهمية اللغة فهي أرق أنواع التخاطب والتواصل ، إذ لايمكن أن نتخيل وجود نشاط تواصلية بدون لغة ، فنحن نتكلم اللغة وإنما نتكلم لإيصال رسالة إلى الآخر الذي يستمع إلينا ، وهنا يظهر جوهر وروح ودور اللغة في إيصال الرسالة ، في هذه العلاقة التي يقيمها الفرد مع فرد آخر ، أي في الوصل بين أطراف هذه الوظيفة الثنائية المتبادلة ، ثنائية الإرسال والاستقبال أو بلغة أخرى ثنائية المتكلم والمتلقي حتى علاقة العالم بالإنسان هي في الأصل " لغوية بامتياز، لأنه

¹ - يورغن هابرماس ، المعرفة والمصلحة ، المرجع السابق ، ص:152

² - يورغن هابرماس ، مستقبل الطبيعة الانسانية نحو نسالة ليبرالية ، مرجع سابق ، ص:22.

يعبر عن الصور التي يحكيها في الخيال أو يجمعها في العقل بالكلمات والأصوات " ¹ وهكذا فالتواصل الهابرماسي لا ينفصل عن اللغة .

كما أن التواصل لا ينفصل عن نظرية المناقشة القائمة على التبرير، كما انه ابعد من ذلك فهو نوع من التبادل اللغوي الذي يحتكم إلى ضوابط أخلاقية ومنطقية تحدد منهجه وغايته بهدف خلق التفاهم بين الذات في إطار اجتماعي معين ومن هنا يمكننا تحديد أبعاد التواصل في انه ذو أبعاد إنسانية تهدف إلى مد جسر التواصل بين أفراد المجتمع الواحد وتقوية اللحمة الاجتماعية وإخراج الفرد من العزلة التي قد تضعه فيها التكنولوجيا بأدواتها حتى يدخل في دائرة الجماعات الإنسانية، كما انه ذو أبعاد اجتماعية من خلال ربطه بالمجال العمومي والعالم المعيش، كما أن للتواصل أبعاد معرفية من خلال محاولة المشاركين في النقاش إلى بلوغ حقيقة متفق حولها، وأبعاد سياسية من خلال محاولة تكريس مبدأ الحوار والتفاهم في المجال السياسي وذلك بإعطاء الشرعية لمبدأ الديمقراطية التداولية، وأهم بعد للتواصل هو البعد الأخلاقي والذي يتجلى في الاحترام المفروض بين كل الأطراف ومنح الحرية والمساواة في المشاركة التواصلية، فنظرية التواصل عند هابر ماس تعود بالأساس إلى أخلاق تواصلية من شأنها أن تضبط المناقشات وتوجهها توجيها سليما ⁽²⁾ وذلك إيمانا منه بان النقاش يعد واحدا من الأنشطة التي تحرر الإنسان من الانغلاق والانعزالية وتفتح له قنوات للتواصل يكتسب من خلالها المزيد من المعرفة ، وان التواصل باعتباره حوار بين العقول يقتضي نوعا من العلاقة المتبادلة بين طرفين أي بين أنا وآخر لكن شريطة الاحترام المتبادل الذي لا يتحقق إلا وفق مبادئ وشروط أخلاقية. فما أخلاقيات التواصل أو ماهي المعايير الأخلاقية للتواصل ومن أين تستمد مشروعيتها؟.

¹ - محمد شوقي الزين ، الثقاف في الأزمنة العجاف ، ص: 438 .

² - Habermas, Réseau et légitimité, problème de légitimation dans le capitalisme avance, trad par : J, la coste ed, pay ot, paris, 1978, P : 22,23.

يؤكد هابرماس على أهمية الأخلاق في العالم المعيش* من أجل تطهيره من كل الأزمات التي من شأنها أن تشوه عمليات التواصل الاجتماعية فلا يمكن علاج الصبغة الانعزالية للحياة اليومية وما يترتب عن ذلك من فقر ثقافي وحضاري إلا عن طريق الأخلاق التي هي مقياس تحضر الشعوب ووسيلة للخلاص من السيطرة التكنوسياسية والتوجيه الغائي لحساب التواصل العقلاني القائم على أخلاقيات المناقشة التي تعد شروطا أولية وقبلية للمحاجة العقلانية بل ومعايير أخلاقية تحكم الخطاب التواصلي .

إن هابرماس يستعمل مصطلح المناقشة diskurse لعلاج إشكالية أخلاقيات التواصل، فنظرية أخلاقيات النقاش الألمانية مرتبطة بفلسفة التواصل، وهي أخلاق إجرائية لاتدعو إلى مضامين بعينها بقدر ماتهدف إلى الوصول إلى أجرة سليمة، فلفظة diskurse تعني النقاش والمناقشة⁽¹⁾ ولا تعني الخطاب discours كما قد يتبادر إلى الذهن وأن المناقشة لها خاصية حوارية dialogique لكن يجب تمييزها عن الحوار أو المحادثة conversation ذلك أن الحوار أو المحادثة لايفرضان حضور البرهنة في حين أن المناقشة تدعو إلى ذلك.

ويذهب هابرماس إلى إن مبدأ أخلاقيات المناقشة لا يكون ساري المفعول إلا بالعمل على ربطه بالموافقات المحلية لعالم معيش معين⁽²⁾، لكن ما يجب إن نشير إليه إن المناقشة لا تتدخل إلا عندما تكون ادعاءات الصلاحية المعروضة أثناء فعل تواصلي معين محل إشكال، أي بمعنى أكثر تفصيلا عندما يتعرض التواصل للتشويه . وعليه فإن المشاركين في النقاش يقدمون مبرراتهم محاولين بذلك إقناع بعضهم البعض ، وكذلك الاستفادة من بعض، في ظل شروط تواصلية لمثل هذه

*

- مفهوم لم ينحته هابرماس، بل استعاره من دلتاي وهوسرل ، لكن ينبغي التنويه هنا الى ان دلالة المصطلح تختلف من فيلسوف لآخر حسب هدف كل فيلسوف خاصة بين مايقصده هوسرل وهابرماس فالعالم المعيش عند هوسرل هو مفهوم ذاتوي ينفذ على الاتا الديكارتي ، بينما عند هابرماس هو مفهوم بينذاتي ينفذ على الآخر قصد التواصل والتحاور .

¹ - حسن مصدق، هابرماس ومدرسة فرانكفورت ، المرجع السابق، ص : 14.

² - Habermas : Moral et communication conscience moral et activité communicational, trad par ch, Bouchindhomme ed, cerf, 1986, P : 126.

المناقشة العقلانية⁽¹⁾ وبما أنها مشتقة من المنطق العام للبرهنة فإن أخلاق الحديث لها شكل أخلاق فوقية تتعلق بالشروط العقلية، ولكنها تمتد إلى ابعد من ذلك لكونها تشكل أخلاق ملموسة مطبقة في السياق الاجتماعي أين تتجلى أهميتها في بناء الشروط الاجرائية لصلاحية وصحة خياراتنا وقناعاتنا العملية من اجل تحقيق بنية تواصلية للتفاعل الاجتماعي اعتمادا على معايير وشروط تحكم الخطاب التواصلي يجب الاتفاق عليها مسبقا وتتمثل في المعقولة، الحقيقة، المصادقية، الصدق.

المعقولة: (intelligibilité) والتي تعتبر احد الشروط الدائمة واللازمة لفعل التواصل ذلك انها تستوفي الجانب اللغوي "سلامة اللغة" إذ لامعقولة في التواصل دون صياغة لغوية سليمة تحترم البنى الأساسية للغة التواصل

الحقيقة: (la vérité) وتمثل الشرط الثاني الأساسي من شروط التواصل وأخلاقيات المناقشة باعتباره الشرط الذي يضمن وظيفيا وصف حالة واقعة موجودة أي أن يعكس القول حقيقة فعلية "تطابق القول مع الواقع".

المصادقية: (justesse) إن المصادقية عبارة عن شرط آخر لا يمكن من دونه أن يستقيم الموقف الخطابي الأخلاقي ذلك انه يتعلق بالجانب اللفظي القولي الذي بموجبه يمكن إقامة علاقة مستقيمة بين الأشخاص مع العلم أن هذا الشرط لا يتحقق إلا مع تطابق الفعل اللغوي.

الصدق: (sincérité) ويرتبط هذا الشرط بنوايا المتحدث التي يفترض أن تكون سليمة وحسنة منزهة من أي أغراض أو نوايا سيئة بغرض التضليل أو التموهيه أي الصدق في القول والإخلاص في العمل أي أن لا نلبس الحق ثوب الباطل والابتعاد عن طرق الاحتيال والتدليل في المناقشة⁽²⁾.

إضافة إلى هاته الشروط الواجب توفرها في خطاب كل شخص أثناء المناقشة يضع هابرماس قواعد أخرى موضوعية أهمها:

- إن كل من هو قادر على الكلام والفعل الحق الكامل في النقاش .
- ان لكل فرد الحق في إثارة أي إشكال أو اعتراض على أي تأكيد كيفما كان.
- لا يحق منع أي كان من المتحاورين من النقاش ولا استعمال أسلوب الإكراه عليه .

¹ - Habermas, Théorie de l'agir communication, op, cit, P : 39-40.

² - نور الدين أفاية، الحداثة والتواصل، مرجع سابق، ص: 211.

وهكذا فهابرماس يعتبر أخلاقيات المناقشة أو التواصل كمنهج يتم من خلاله تحديد معايير عادلة لزاوية النظر الأخلاقية ، بل نقل نظرية تبحث في الطرق والإجراءات السلمية التي تمكن الذات المتفاعلة من التواصل عبر الحوار إلى صياغة تلك المعايير الأخلاقية ، فهذه الشروط بمثابة الحصن المنيع الذي يعطي للعملية التواصلية بصفة عامة نوعا من المناعة الداخلية والصبغة الأخلاقية التي من شأنها أن تحميها من كل تعسف لغوي أو عدم المساواة في الكلام ويكون بذلك هدف المشاركين في النقاش هو بلوغ الحقيقة جماعيا وبالتالي فإجماع هاته القواعد والادعاءات بين المتكلمين المشاركين في المناقشة يقود إلى الوصول إلى حقيقة جماعية وكأن هابرماس يريد أن يؤكد على النظرية الإجمالية للحقيقة، ففي النهاية الحقيقة ليست تتويجا لتأمل منعزل كما هو الحال في التراث الفلسفي الميتافيزيقي بل إن الحقيقة حصيلة محادثات وصيغ تبادل الحوار بين ذوات.

ومن هذا المنطلق فان هابرماس يساهم بنظريته الاجتماعية للحقيقة في هدم وموت الحقيقة المتعالية وكذا الوهم الدائم بامتلاك الحقيقة الواحدة ولاسيما في زمن خلقت فيها الحداثة صيغ متعددة للصراع وليس للحوار.

وبهذا فالنقاش غدا أساس التواصل، والتواصل غدا الفاعلية الوحيدة التي بإمكانها إعادة ربط الصلة بين أطراف هذا العالم المتقطع الأوصال، عالم فقد كل مرجعياته ونقاط ارتكازه، عالم سادته التشيؤ والاعتراب بسبب التقنية إذ عوض التقدم والمحبة ساد الاستبداد والعنف .

وبالتالي فالتجربة التواصلية تأتي من العلاقة التفاعلية التي تربط بين شخصين على الأقل داخل العالم المعيش ، وفي إطار من التوافق اللغوي والتداولي المبني وفق قواعد وشروط أخلاقية ، فهذه هابرماس هو تأسيس نموذج إجرائي للأخلاق من خلال إعادة بنائها انطلاقا من الكونية الكانطية واعتمادا على المناقشة البرهانية إذ أعاد هابرماس تشكيل الأخلاق الكانطية في صورة أخلاق تواصلية وذلك من خلال الاعتماد على مبدئين أساسيين هما المبدأ U "مبدأ العالمية".

ومبدأ D "مبدأ المناقشة، هذا الأخير الذي يربط خاصية العقلانية الأخلاقية (أي الصلاحية) بظاهرة الحديث وهو يفيد أن معيارا معينا يكون أخلاقيا إذا وفقط كان ناتجا عن مداولات جماعية ناجحة لقوله "المبدأ لا يكون مقبولا حقيقة إلا إذا حقق إجماع الأشخاص المعنيين الذين يجب أن يكونوا قادرين على اخذ نصيهم في

النقاش⁽¹⁾ "مما يعني أن أخلاقيات التواصل عن هابرماس لا تقوم على مبدأ الغلبة والقوة بل تقوم على قوة المحاجة والإقناع التي تؤسس لبنية تواصلية اجتماعية قوامها التفاهم والاتفاق وهنا يتدخل المبدأ الثاني u "العالمية" الذي يضيف إلى المبدأ d "قواعد البرهنة التي من خلالها يتم فحص المعايير إذا كانت محل اتفاق من طرف الجميع ، ولقد قام هابرماس بتفكيك وبناء نظرية الأخلاق الكانطية باستبعاد الجانب المتعالي الترنسندنتالي الكانطي وهذا ما أبرزه في كتابه "الأخلاق والتواصل" وكتاب "أخلاقيات الحديث" أين يؤكد على التبرير الجماعي العقلاني للمبادئ الأخلاقية المتفق عليها وهذا مايؤكدده قوله "نحن لانستطيع شرح ادعاء صلاحية المبادئ طالما اننا نحتكم إلى اتفاق مبرر بأسباب عقلانية"⁽²⁾ وعليه فانه في مثل هذه الحالة يكون النموذج الملائم هو المجتمع التواصلي أين تقوم الفرق المشاركة بفحص ادعاءات صلاحية المبادئ داخل حديث عقلاني بحيث لا يتم قبول هذه المبادئ إلا بعد الاقتران بالتبريرات المقدمة ، ليتم الإعلان بأنها مبادئ صحيحة ، على عكس ما ذهب إليه كانط الذي أكد على الجانب المتعالي في الأخلاق .

وبهذا فهابرماس ينتقل من الأخلاق الكانطية الصورية المجردة والتي كانت منطلق بحثه في الأخلاق إلى أخلاق الممارسة في ظل المناقشات العمومية، اذ يصبح مشروع هابرماس الأخلاقي محاولة لإعادة بعث العقل العملي من زاوية محطمة للصورة الترنسندنتالية الذي هو قوام التفاعل بين أفراد المجتمع، وهكذا فهابرماس يقترح أخلاقا ليست بالجوهرية ولا هي صورية ولكنها بكل بساطة أخلاق إجرائية قوامها المشاركة والاتفاق ، فإذا كان كانط ينظر إلى الواجب كأمر وفي نفس الوقت كفعل قابل للتطبيق من طرف الإنسان لأن الواجب يحمل معنى الاستطاعة وفقا لمقولة "يجب عليك فأنت تستطيع" فان هابرماس يربط مثل هذه المبادئ الأخلاقية وقبولها بمبدأ الإجماع وليس وفقا للأمر والفردانية المنعزلة وهكذا العقل العملي الكانطي أصبح البديل عنه عقل برهاني تواصلي لا يعترف إلا بأولويات العيش جماعيا.

إلا أن النظرية الأخلاقية لهابرماس ليست هي الدعوة النهائية بل يجب عليها أن تبرهن على شرعيتها، أن تقدم مبررات صلاحيتها حتى تضمن تعميم المعايير.

¹ - Habermas, Morale et communication, op, cit, P : 87.

² - Habermas : Raison et légitimité op, Cit, P : 146.

ومنه فان هابرماس يفكر في مفهوم السياق والإجراءات، فهو لا يركز على مبادئ تأسيسية نهائية بقدر ما يفكر في عملية التفاعل الاجتماعي وتنسيق النشاطات داخل العالم المعيش، وبالتالي فان وجهة النظر الأخلاقية متأصلة في عنصر أصيل ، في بنية تجربة الحياة البشرية وعليه فان ثمة نظام أخلاقي ضمني يحاول هابرماس الكشف عنه من خلال فكرة الكلية الأخلاقية يتمثل في التفكير في نظام أخلاقي ينطبق على جميع البشر.

اذ أن هابرماس أراد أن يحرر الإنسان من التبعية والسيطرة التكنوسياسية بتأسيسه لنظرية عقلانية في التواصل معيارها الإجماع، قوامها التفاهم؛ أساسها المعيار الأخلاقي القائم على الاحترام المتبادل والاعتراف بالآخر سندها في ذلك مبدأ الأفضلية والقوة في الحجة .

وبهذا فهابرماس يعد ذلك الفيلسوف الحامل لقضايا وهموم مجتمعه ، انه فيلسوف المجتمع بامتياز، إلى درجة أن كوسي ذهب إلى القول " انه في الواقع المعاصر يمكن الجزم دون تردد بان فوكو وهابرماس ينتميان إلى المؤلفين الذين قدموا إجابات الأكثر جوهرية حول التأسيس النظري لفلسفة نقدية بعد الماركسية "(1) وذلك لانشغاله بجميع قضايا عصره الاجتماعية والسياسية والأخلاقية انه ذلك المثقف المجند لأجل المجال العمومي ، فان صح التعبير هو نموذج الفيلسوف النقدي المعاصر وفيلسوف التنوع والاختلاف وفيلسوف القرن وهذا لما جادت به قريحة هذا الأخير في مختلف المجالات (2)، إذ عمل على تشخيص أمراض الحداثة وأسباب فشل العقل ومحاولة إعادة بعثه من جديد في ثوب جديد أكثر تفتحا وأكثر تحررا من كل سلطة أو تبعية، في ثوب أخلاقي روحي عماده التبصر في الذات ما يسمح بإثبات الإنسان لوجوده وتأكيد فاعليته في الوسط الاجتماعي.

إذ انه وبالمقنن هابرماسي لا بد على الفلسفة المعاصرة اليوم رفع الستار عن النزعة التكنوعلمية وعدم التماهي بمنجزات العلم دون التفكير في الأطر الكونية التي بإمكانها على الأقل خلق التقارب بين البشر من خلال تحديد الخطوط العريضة لعقلانية إجرائية قرب قول وصل إليه تفكير هابرماس ، قول يؤكد على الإجماع بل على

¹ - يورغن هابرماس ، مستقبل الطبيعة الانسانية نحو نسالة ليبرالية ، مرجع سابق ، ص: 10 .

² - عمر مهبيل من النسق إلى الذات، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم، ط1، لبنان، 2007، ص 139.

الفاعلية الاجتماعية ، قول يؤكد على الحوار بل على أخلاقيات المناقشة ليخلق في النهاية بدءا اجتماعيا جديدا لكل انغلاق خلفته السيطرة التكنو علمية وكأن مشروعه هنا مشروع إصلاحية مثله مثل مشروع مفكرنا العربي مالك بن نبي الذي كشف عن العطل والمرض في الفكر العربي وأجاد له الدواء فهابرماس نفسه حلاً أزمة الانغلاق وأرجعها إلى الحداثة والنزعة التكنو علمية التي غشت بضلالها عقول كل من يلتمسها مبتدعا بذلك فلسفة الحوار والمناقشة كخلاص من أسرهما .

الخاتمة:

يمكن إيجاز ماتضمنه بحثنا عن الفلسفة الهابرماسية في جملة من النقاط تعتبر الخطوط العريضة والمعايير الأساسية لفلسفته هي كالتالي :

- نقد هابرماس للحداثة نقدا بناء يهدف إلى إعادة بناء التمرکزات وتصحيح المسلك الحداثي من الانغلاق الى الانفتاح .
- نقد النزعة التكنو علمية والتأكيد على خطورة التماهي والانسياق لتجارها التي تجعل الإنسان يقع في فخ التشيؤ .
- التأكيد على ضرورة الرقابة الأخلاقية لمنجزات العلم .
- صياغة هابرماس لنظرية نقدية " العقلانية التواصلية " كبراديجم لفك هاجس أزمة الأخلاق في الفكر المعاصر وكذا شفرة الاغتراب .
- التأكيد على التواصل القائم على أفق التداول اللغوي " مبدأ فاعلية اللغة " باعتبارها الوسط الأساسي في التواصل يسن الذوات وعنصر تشكيل الذات ضمن واقع الوجود مع الآخر .
- إن العقل التواصلية يفتح الأفق لفكر اتيني وسياسي يمكن بموجبه التفكير حول شروط إمكانية التوافق الديمقراطي ، مما يفرض إعادة الاعتبار للعقل العملي .
- إن أخلاقيات المناقشة عند هابرماس المؤسسة على إعادة اتقيا كانط تمنح للفلسفة الأخلاقية قيمة علاجية توضيحية ، أخلاق يحكمها النقاش العمومي المبني على معايير أخلاقية
- تكريس مبدأ الحوار والنقاش وفق أطر أخلاقية لا بد الاتفاق عليها والتي تتجلى في المعقولية ، الحقيقة ، الصدق ، المصادقية.

قائمة المصادر والمراجع:

قائمة المصادر باللغة العربية:

- 1- يورغن هابرماس ، العلم والتقنية كأيديولوجيا ، ترجمة: حسن صقر، منشورات الجمل ، 2003 ، (ط1)، ص: 29، 30.
- 2- يورغن هابرماس ، القول الفلسفي للحدثة ، ترجمة :فاطمة الجيوشي ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق سوريا ، 1995.
- 3- يورغن هابرماس ، مستقبل الطبيعة الانسانية نحو نسالة ليبرالية ، تر: جورج كتورة ، المكتبة الشرقية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2006.
- 4- يورغن هابرماس ، المعرفة والمصلحة ، ترجمة : حسن صقر ، مراجعة : إبراهيم الحيدري ، المجلس الاعلى للثقافة ، القاهرة ، ط1 ، 2002

قائمة المصادر باللغة الأجنبية:

- 1)-HABERMAS , connaissance et intérêts, trad. par : Gclemncom et J.M Bor km, ed Gallimard , paris, 1976.
- 2) -Habermas, terrorisme, pouvoir et communication , entrier par Diarony bara dory, le monde , Février 2004.
- 3)-Habermas la réseau la critique, dirigée : ch bouchindhomme, paris, 1996.
- 4)-Habermas, Autonomiy and solidarity, interviews, with habermas, ed by : peter dewes, verso the print of new left books.
- 5)-Habermas, la modernité, un progrès inachevé, trad par : G : Roulet, revue critique, 1991.
- 6)-Habermas, Réseau et légitimé, problème de légitimation dans le capitalisme avance, trad par : J, la coste ed, pay ot, paris, 1978.
- 7)- Habermas : Moral et communication conscience moral et activité communicationnal, trad par ch, Bouchindhomme ed, cerf, 1986.

قائمة المراجع باللغة العربية:

- _ بوتومور ، مدرسة فرانكفورت، تر: سعاد هجرس، دار أويا ليبيا، ط1 ، 1998.
- _ ريتشارد وولن، الانعطاف الدينية عند الفيلسوف يورغن هابرماس، تر: خالدة ، جريدة ايلاف الالكترونية www.elaph.com
- _ جان مارك فيري، فلسفة التواصل، ترجمة وتقديم ،عمر مهيبيل ، منشورات الاختلاف ، المركز الثقافي العربي ، ط1 ، لبنان ، 2006 .
- _ محمد نور الدين أفاية، الحدثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة. نموذج هابرماس، دار إفريقيا الشرق، ط2، المغرب، 1998 .

- _ عمر مهيبل من النسق إلى الذات، منشورات الإختلاف، الدار العربية للعلوم، ط1، لبنان، 2007.
- _ الفريد فرانك ، حدود التواصل ، ترجمة عز العرب بناني ، الدار البيضاء ، 2002 ،
- 7)_ كمال عوسي ، دراسة في النظريات التربوية المعاصرة ، معهد العلوم الانسانية ، المركز الجامعي ، غرداية ، الجزائر ، 2009 .
- 8)_ عمر مهيبل ، اتقا المناقشة ومسالة الحقيقة ، تر: عمر مهيبل ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط1 ، 2010.
- 9)_ عبد الرحمان بدوي ، الموسوعة الفلسفية ، ج1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1984.
- 10)_ ستيفان هابر ، هابرماس وسوسيولوجيا ، ط1 ، (دت).
- 11)_ علي عبود المحمداوي ، الاشكالية السياسية من فلسفة الذات الى فلسفة التواصل هابرماس انموذجا ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط1 ، 2011.
- 12 -محمد شوقي الزين، **الثقاف في الأزمنة العجاف**، منشورات الإختلاف الجزائر، ط الأولى 2014.

قائمة المراجع باللغة الأجنبية :

1_wriol (paul) : cybermonce la politique d'opire, fayard, paris, 1996.

قائمة المجلات:

- 1- يورغن هابرماس ، مشروع ناقص ، تر: بسام بركة ، مجلة الفكر العربي ، مجلة العلوم الانسانية والحضارية ، مركز الانماء القومي ن لبنان ، 1996 ، العدد ، 39 .
- 2- حسن حنفي ، متى تموت الفلسفة ومتى تحيا ، مجلة عالم المعرفة ، المجلد الخامس عشر، العدد3 ، ديسمبر، 1984.

المعاجم والموسوعات :

- 1- جلال الدين سعيد ، معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية ، دار الجنوب للنشر، تونس، (دط) .
- 2- ابن منظور ، لسان العرب ، دارالمعارف ، القاهرة ، المجلد 2 .
- 3- جميل صليبا، **معجم الفلسفة**، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، بيروت لبنان.
- 4- اندريه لالاند ، الموسوعة الفلسفية، مج1، تعريب: خليل احمد عويدات، منشورات عويدات، ط2، بيروت، 2001 .